شهادته والوقوف على الأسباب التي دفعته إلى الكذب [1] . ويلاحظ عادة بأن الشاهد الكاذب عندما يدلي بشهادته نجده يهتم بذكر التفاصيل الدقيقة ويتجنب في أغلب الأحيان تفسير جوهر الموضوع ذاته محاولا جعل المحقق يعتقد بصدق أقواله هذا بعكس الشاهد الحسن النية فإنه قلما يتعدى الجوهر في شهادته وإذا تطرق على الجزئيات فإنه عادة يطيل فيها ونراه في الوقت نفسه يتردد في ذكرها وقد تناقض أقواله فيها [2].

وإذا ارتاب المحقق في أقوال الشاهد فعليه ألا يظهر شعوره بذلك في الحال بل أن يكتمه في نفسه ويدعه يسترسل في الكلام بحرية ويسجل خلال ذلك الأمور المتناقضة والمخالفة للواقع حتى تتكشف له حقيقة الأمر فيزول عندئذ الشك باليقين، أما إذا أعلن المحقق ارتياحه حال شعوره فيه فقد يتدارك الشاهد ما صدر منه من هفوات أثناء المناقشة فيصلح خطأه ويرتب أقواله بشكل يوفق بينها وبين الحوادث . فعلى المحقق إذن أن يتظاهر بتصديق الشاهد الكاذب حتى يقطع مرحلة طويلة في الكذب يصعب معها أن يتداركه أو يتخلص منه وعندئذ يفاجأ الشاهد بما يراه في شهادته من كذب وتزوير [3].

أسباب الكذب في الشهادة

ترجع أسباب الكذب في الشهادة إلى أمرين أساسيين:

أولاً: أسباب تتصل بشخص الشاهد وعلاقته بأطراف القضية ويمكن أن يصطلح على تسميتها بالأسباب الشخصية.

الثاني: أسباب تتصل بموضوع الجريمة وحوادثها وعلاقة الشاهد بها ويمكن أن يصطلح على تسميتها بالأسباب الموضوعية [4].

---

(١) انظر أحمد فؤاد عبد المجيد، المرجع السابق، ص ٢٥٥.

(٢) انظر كامل أحمد ثابت، المرجع السابق، ص ١٢١.

(٣) انظر أحمد فؤاد عبد المجيد، المرجع السابق، ص ٢٥٨. فؤاد أبو الخير وإبراهيم غازي، المرجع السابق، ص ٣٢٦.

(٤) في أسباب الكذب في الشهادة – انظر محمود حسن، المرجع السابق، ص ١٧٢ – ١٨٠ أحمد فؤاد عبد المجيد، المرجع السابق، ص ٢٥٩ – ٢٦٢ فؤاد أبو الخير وإبراهيم غازي، والمرجع السابق، ص ٣٤٢٦.

Scanned by CamScanner

الأسباب الشخصية:

أ ـ حالة الشاهد النفسية والأخلاقية والاجتماعية:

إن لحالة الشاهد النفسية والأخلاقية والاجتماعية أثر كبير في تقدير قيمة أقوال، فالشاهد الذي يعاني من عقد نفسية قد يحاول أن يتهم آخر بتهمة معينة لكي يزكي نفسه بذلك الاتهام، والشخص الذي لم يسعفه الحظ بالحصول على تنشئة تربوية واجتماعية قويمة فمن السهولة بمكان أن يشترى ضميره بثمن بخس.

ب ـ صلة الشاهد بالمتهم أو المجني عليه

قد تربط الشاهد بالمتهم أو المجني عليه صداقة أو قرابة ونتيجة لذلك فقد يحرف الشاهد في شهادته أو يضيف إليها أو ينقص منها لصالح من تربطه به هذه الصلة [1].

جـ ـ الحقد والكراهية:

قد يأتي الشاهد بأقوال ليس لها سند من الواقع لتأكيد التهمة ضد المتهم للإيقاع به مدفوعًا بذلك بدافع الكراهية والحقد.

د ـ المغالاة:

يحاول بعض الشهود أحيانًا أن يلبسوا الشهادة رداء هو ليس رداءها منسوجًا بالمغالاة والتهويل لكي يعطوا أنفسهم أهمية معينة.

هـ ـ الخوف:

يعتبر الخوف من أهم الأسباب الدافعة للكذب في الشهادة، ففي كثير من

(١) فقد حدث مرة أن حملت فتاة تبلغ خمسة عشر عامًا سفاحًا فاتهمت سائق سيارة والدها بأنه قد اعتدى عليها ثلاث مرات حتى تخفي العلاقة الجنسية التي كانت تمارسها مع والدها الذي حرضها على اتهام السائق ونتيجة لهذه التهمة حكم على السائق بالسجن، وبعد سنتين من هذا الحكم اكتشفت الحقيقة باعتراف الفتاة نفسها. انظر محمود التوني، المرجع السابق، ص ٣٢٧.

Scanned by CamScanner

الأحيان يخشى الشهود من المجرمين المعروفين بخطورتهم ونفوذهم ولهذا لا يدلون بالحقيقة ضدهم أو ينكرون الشهادة خوفًا على أنفسهم وأموالهم وتبدو هذه الظاهرة بوضوح بين أفراد العشائر التي تسكن في مناطق بعيدة عن مراكز الحكومة والشرطة [1].

و ـ سوء الظن:

قد يشهد الشاهد بإدانة المتهم أو براءته دون أن يستند على شيء سوى ظنه وإحساسه تاركًا جانبًا الاعتماد على حواسه، ومما لا شك فيه أنه لا يجوز للشاهد أن يبدي رأيًا في المتهم إلا إذا كان مستندًا على وقائع معينة توصل إليها عن طريق حواسه.

الأسباب الموضوعية:

أ ـ الإهمال:

قد يكون الدافع للشاهد على تغيير الحقيقة خوفه من أن يتهم بالإهمال والتقصير، كحالة الحارس الليلي الذي يدعي بانه كان يقظًا طوال الليل ولم ير أحدًا يدخل في محل الحادثة الذي تحت حراسته في الوقت الذي كان وقت حصول الحادثة ينام نومًا عميقًا.

ب ـ المسؤولية الجنائية:

قد يكون الشاهد أحيانًا شريكًا للفاعل الأصلي فيضطر إلى قول الزور ليدفع التهمة عن المتهم بشكل مباشر وعن نفسه بشكل غير مباشر.

جـ ـ المسؤولية الأدبية والمدنية:

قد يضطر الشاهد لقول الزور دفعًا للمسؤولية الأدبية، كحالة المعلم الذي يشهد

---

(١) وخير مثال يوضح هذه الحالة (الخوف) هو عصابة (المافيا) في جنوب إيطاليا وفي صقلية بالذات، إذ أن هذه العصابة قد بلغت من القوة حدًّا بحيث تزيل من الوجود كل من يقف في سبيل تحقيق غاياتها الإجرامية ولهذا لا يستطيع أحد أن يشهد ضد أفرادها خوفًا من أن يحكم عليه بالموت من قبلها. هذا وتكاد الحكومة الإيطالية تقضي على هذه العصابة في الوقت الحاضر بعد أن عاشت أكثر من قرن من الزمن.

Scanned by CamScanner

لمصلحة تلميذه في حادثة لها علاقة بالتربية والأدب حتى لا يوصف بالتقصير في تربية تلاميذه، وقد يضطر الشاهد في أحيان أخرى أن يدلي بشهادة كاذبة دفعًا للمسؤولية المدنية ، كحالة الشاهد الذي يشهد زورًا لمصلحة خادمة في تهمة مسؤول عنها مدنيًّا.

د ـ سوء السمعة:

قد يضطر الشاهد أحيانًا أن يدلي بمعلومات غير صحيحة خوفًا من أن تساء سمعته، كأن تكون الشهادة متعلقة بفعل يهتك الشرف أو إسقاط حمل، إذ من غير المستحب أن يكون إنسان شاهدًا في مثل هذه الحوادث.

يظهر مما تقدم بأن هناك من الأسباب التي تدفع الشاهد لأن يدلي بمعلومات بعيدة عن الحقيقة، ولا يمكن للمحقق أن يتوصل إلى حقيقة أقوال الشاهد ويفرق بين الصحيحة منها والكاذبة إلا إذا اتخذ مع كل شاهد موقفًا يناسب عقليته وفهمه منزلته الاجتماعية بحيث يكون مع بعضهم مؤدبًا غاية الأدب ومع بعضهم الآخر حازمًا شديدًا، كما قد تدعوا الحالة إلى معاملة قسم منهم معاملة جافة وهناك البعض من الشهود يجب على المحقق أن يكون معهم بشوشًا مبتسمًا ليتمكن من إزالة أسباب التخوف من المحقق وبذلك يكسب ثقة الشاهد به.

وخلاصة القول في هذا المجال أن على المحقق أن يكون ذا مرونة خاصة بحيث يتمكن معها من تكييف نفسه حسب الظروف والأحوال المختلفة وحالات الشهود النفسية، إن معاملة الشاهد كإنسان من حيث الاحترام الواجب له واستعمال الصبر والأناة تجاهه تعطي المحقق أحسن النتائج وأفضلها [1].

* * *

(١) انظر إحسان الناصري، المرجع السابق، ص ٩٤ – ٩٥.

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

المبحث الرابع

الخطأ في الشهادة

إن علم النفس يعلمنا أن الغالبية العظمى من الشهود معرضين للوقوع في أخطاء شنيعة ولو كانوا حسني النية، وعليه فإن الاعتماد على حسن نوايا الشاهد لا يستند على أساس علمي بل على سذاجة في التفكير، فالرغبة في قول الحقيقة من قبل الشاهد غير كافية لوحدها للحكم على صحة الشهادة، وذلك لوجود عوامل جسمية ونفسية لا يدركها الشاهد ولكنها في الوقت نفسه تلعب دورًا مهمًا في مجال الشهادة، ولهذا نجد بأن الكثير من الأخطاء القضائية سببها الاعتماد على سلامة وحسن نوايا الشاهد، إن مبدأ حسن النية إذن لا يصلح أن يكون لوحده أساسًا لتقييم الشهادة [1]، وعليه فيجب على المحقق أن يتحقق بنفسه من صدق الشهادة أو عدمه وذلك عن طريق دراسة شخصية الشاهد وإثبات مصادر الخطأ التي يقع تحت تأثيرها، فتقييم الشهادة إذن يجب أن يكون من خلال طبيعة شخصية الشاهد وعناصر الواقعة ذاتها [2]، إن الشهادة إلى حد كبير ما هي إلا تشويهًا للحقيقة، إذ أن محتواها لا يمكن أن يعكس الواقعة الموضوعية كما تعكسها الصورة الفوتوغرافية بأمانة وصدق.

مراحل عملية الشهادة:

ليست الشهادة عملية بسيطة كما تبدو لأول وهلة، بل عملية معقدة تمر بمراحل متعددة، وهذه المراحل هي: الإدراك، وحفظ الذاكرة، واستحضار أو استدعاء الذاكرة.

---

(١) انظر أحمد محمد خليفة، المرجع السابق، ص٨. محمود حسن، المرجع السابق، ص ١٨١.

(٢) عندما نستعمل تعبير (الشخصية) فإننا نقصد بذلك الفرد (ككل) بكل مميزاته واستجاباته سواء الجسمية منها أو النفسية.

Scanned by CamScanner

وفي كل مرحلة من هذه المراحل هناك عوامل خارجية (طبيعية) وأخرى شخصية (فردية) بحيث تؤدي إلى عدم تطابق محتوى الشهادة مع الحقيقة الموضوعية مطابقة تامة[1]. وسوف نتعمق الآن في دراسة وشرح كل مرحلة من المراحل الآنفة الذكر مبينين ما أمكننا التحريفات التي تطرأ على كل مرحلة وبالتالي على الشهادة ككل.

* * *

(١) F.Ferracuti, Appunti di psicologia Givdiziaria, Ed. 1959, P.106
وكذلك انظر فؤاد أبو الخير وإبراهيم غازي، المرجع السابق ٣٣٤ – ٣٣٥.

Scanned by CamScanner

أولاً . الإدراك

الإدراك هو النشاط العقلي الذي يتضمن استقبال الإحساسات التي تأتي عن طريق أعضاء الحس (العين، الأذن، الأنف، الفم ، الجلد) وتحويلها بطريقة آلية إلى المراكز العامة في المخ الذي يفسرها ويتعرف عليها في ضوء الخبرة السابقة [١].

من المعلوم أن الشاهد يدعى للإدلاء بمعلومات عن واقعة معينة حصل عليها بواسطة إحدى الحواس وخاصة حاستي البصر والسمع، فالمعلومات التي لديه عن واقعة ما، أساسها إدراكه الحسي لهذه الواقعة، وعليه فإن سلامة الإدراك تستلزم بداهة سلامة الحواس ذاتها، إذ ما الحواس إلا أداة الإدراك [٢].

فإذا كان الشاهد مصابًا بعاهة أو بضعف في بصره أو سمعه فإن إدراكه للأشياء سوف لا يكون صحيحًا، وبالتالي فإنه يتعذر الاعتماد على الأعمى أو ضعيف البصر أو السمع أو الذين يعانون من العمى الليلي أو عمى الألوان إذا كان موضوع الشهادة متعلقًا بهذه الأشياء [٣].

---

(١) ومما تجدر ملاحظته بأن الإدراك ظاهرة نفسية معقدة بحيث يصعب تحليله ولا تزال معرفتنا عنه غير كاملة بالرغم من أهميته الكبيرة جدًا، حيث أنه يكون الحلقة الأولى في سلسلة العمليات النفسية التي تضع الفرد في اتصال دائم ومستمر مع العالم الذي يحيط به، فهو يبين للفرد طبيعة هذا العالم والأخطار التي قد يتعرض لها منه ويسمح له في حدود كبيرة تغيير ردود فعله تجاه هذا الأخطار.

(٢) انظر أحمد محمد خليفة، المرجع السابق، ص ٨٠.

(٣) انظر سعد المغربي، مذكرات في علم النفس العام وعلم النفس الجنائي، ص ٩٠، حدث مرة أن ادعى سائق إحدى السيارات العامة أن قرويًا تعرض له وضربه بعصا غليظة على كتفه على مرأى من راكب كان يجلس في السيارة . ولما سأل هذا الراكب عن حقيقة الأمر أكد أنه شاهد القروي ينهال بعصاه على سائق السيارة الذي كان قد أوقف سيارته ليوبخ القروي على سيره في=

Scanned by CamScanner

ويلاحظ بأن صحة الحواس تعني صحة المدركات التي تأتي عن طريقها ذلك لأن العوامل النفسية والاجتماعية والطبيعية تتدخل وتعمل على تحريف المدركات وتشويهها أو عدم إدراكها إطلاقًا، فقد تنقل العين الصورة الخارجية نقلاً صحيحًا ولكن معرفة جوهر وماهية هذه الصورة ليس من عملها فتلك عملية عقلية تأتي بعد الإدراك الحسي. بمعنى آخر: إن معرفة كنه الشيء المدرك (نوعه ومعناه وتمييزه من غيره) ليس من عمل العضو الحساس وإنما عملية عقلية تتأثر بالتكوين النفسي والاتجاهات الانفعالية للفرد وما تنطوي عليه نفسه من صراعات شعورية ولا شعورية وما اكتسبه من الخبرات السابقة [1].

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أن عملية الإدراك عملية انتقائية، لأن أغلب المواقف التي تعرض لنا تشمل عددًا لا حصر له من الجوانب والنواحي التي يصعب على الفرد أن يدركها جميعًا وإنما يدرك منها جوانب ونواحي معينة في لحظة معينة . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الأفراد يختلف بعضهم عن البعض الآخر من حيث ما يدركونه من موقف معين يظهر أمامهم، ويعود السبب في ذلك إلى الفروق الفردية الموجودة بينهم والتي تجعلهم يعيشون في عوالم مختلفة [2]، فعند النظر إلى سيدة معينة نجد أن البعض يرى فيها سيدة جميلة

=وسط الطريق. ولكن الفحص الطبي أظهر أن لا أثر للضرب على كتف السائق الذي اعترف فيما بعد أنه اختلق قصة الضرب بالعصا نكاية بالقروي، إن هذه الحادثة تبين لنا أن ضعف بصر الشاهد جعله يجيب على أسئلة المحقق أجوبة مبهمة مبنية على التصورات الشخصية. انظر فؤاد أبو الخير وإبراهيم غازي ، المرجع السابق، ص٣٤٠.

(١) انظر أحمد محمد خليفة، المرجع السابق ص٩ . سعد المغربي، المرجع السابق ص ٩١.

(٢) ليس هناك اثنان متشابهان تمامًا في النواحي الجسمية وفيما حدث في حياة كل منهما من أحداث وخبرات، ولا في قدرتهما على التعليم، ولا في اهتماماتهما الفردية، ومما لا شك فيه أن لهذه الفروق أثرًا في تفسير الفرد للمعلومات التي تنقلها إليه حواسه، وفي أسلوبه في تجميع المعلومات في صورة معينة من عالمه الخارجي. انظر وليم ن . ماك بين دونالد، ك . جونسن، علم النفس يعرفك بنفسك، ترجمة الدكتور عثمان لبيب فراج، القاهرة ١٩٦٨، ص ٥٢.

Scanned by CamScanner

والبعض الآخر لا يراها كذلك أو قد يراها إلى حد ما قبيحة، وهكذا يختلف إدراك السيدة تبعًا لاختلاف الأفراد [1].

العوامل المؤثرة في الإدراك:

يتأثر الإدراك بنوعين من العوامل: فهي إما ذاتية (شخصية) أو طبيعية (خارجية)[2].

العوامل الذاتية:

ويقصد بها تلك العوامل التي تعود إلى الفرد نفسه أي إلى ما لديه من دوافع وميول واهتمامات واتجاهات نفسية وعادات وعقائد ، ومن هذه العوامل ما يلي:

١ ـ الحاجة العضوية:

إن الحاجة العضوية (الجوع والعطش والرغبة الجنسية... إلخ) تشوه الإدراك إذ تجعله يتجه نحو الموضوعات والأشياء والأشخاص التي يستطيع عن طريقها أن يشبع تلك الحاجات.

---

(١) إن أول تجربة أجريت لاختبار قوة إدراك الشهود كانت في معهد العلوم الجنائية ببرلين (١٩٠١ ـ ١٩٠٢) فقد أحضر الاستاذ ليزت بعض الأشخاص ووضعهم بين طلبة المعهد وفي أثناء المحاضرة قامت مناقشة بين أحدهم وبين المحاضر فرد شخص آخر بعبارة تهكمية وسرعان ما توالت العبارات الجارحة والسب وعندئذٍ أخرج شخص ثالث مسدسه وأطلقه في الهواء، وبعد أن أوقف المحاضر محاضرته واختار عشرة من تلامذته وطلب من خمسة منهم الإدلاء لشهاداتهم شفويًا في محضر قام هو بتحريره وطلب من الخمسة الآخرين كتابة شهاداتهم في أوراق جمعها منهم. وكانت النتيجة أنهم جميعًا استطاعوا الإدلاء بالوقائع صحيحة ولكن الأخطاء كثرت في إسناد هذه الوقائع إلى الأشخاص الذين قاموا بها، فقد أخطأ ستة في إسناد عبارة التهكم إلى قائلها، كما أخطأ واحد في الشخص الذي أطلق المسدس. انظر محمود التوني، المرجع السابق، ص ٣١٧.

(٢) في العوامل المؤثرة في الإدراك، انظر سعد المغربي، المرجع السابق ص ٩١ – ٩٢. أحمد محمد خليفة المرجع السابق، ص ١٠ – ١٢ أحمد فؤاد عبد المجيد ، المرجع السابق، ص ٢٦٤ – ٢٧٣. فؤاد أبو الخير وإبراهيم غازي، المرجع السابق، ص ٣٣٥ – ٣٤٠.

Hans Gross . op . cit. pp. 36 – 44 – F . Ferracuti, op. cit . pp. 106 – 109.

Scanned by CamScanner

٢ ـ الحالة المزاجية:

إن الحالة المزاجية الوقتية التي يعيشها الفرد تؤثر كثيرًا في إدراكه للعالم الخارجي الذي يحيط به. فقد كلف أحد الباحثين بضعة أشخاص وصف صورة معينة وهم في حالات مزاجية مختلفة من الرضا والسخط والقلق، وكانت الصورة تمثل أربعة من التلاميذ يجلسون في الشمس ويستمعون إلى الراديو فجاءت الأوصاف مختلفة باختلاف الحالات المزاجية لأصحابها.

فقال أحدهم وهو في حالة الرضا: إن التلاميذ في حالة استجمام تام يستمعون إلى الموسيقى ولا يفكرون في شيء، وقال القَلِق: إنهم يحاولون المذاكرة ولكن لا يستطيعون. وقال الساخط: انهم يستمعون إلى مباراة في كرة القدم ويبدو أن فريق أحدهم قد خسر المباراة. وهكذا فغن الحالة المزاجية تؤثر في الإدراك فتختار من المنبهات ما يلائمها [1].

٣ ـ الألفة والاعتياد:

إن الألفة والاعتياد تسهل وتساعد عملية الإدراك، فرؤية شخص اعتدنا أن نراه بين جماعة من الأشخاص لا نعرفهم سابقًا يسهل إدراكه ويبرز في المجال الإدراكي عن الآخرين. ويقال نفس الشيء بالنسبة لحاسة السمع، فالنغمة أو الصوت المألوف يسهل إدراكه وسط أصوات غير منتظمة أو غير مألوفة.

٤ ـ التكوين الفكري للفرد:

تلعب ثقافة الفرد وتقاليده دورًا كبيرًا في إدراكه للعالم الخارجي الذي يحيط به، فالمهندس يرى في البناء غير ما يراه الفنان النحات، والفرد الريفي يرى في فتاة المدينة التي تكشف عن وجهها وساقيها غير ما يرى ابن المدينة... إلخ.

٥ ـ الحاجات:

لوحظ بأن الحاجة تؤثر على إدراك الفرد للأشياء وخاصة إذا كان لهذه الأشياء

---

(١) انظر سعد المغربي، المرجع السابق، ص٩٢

Scanned by CamScanner